المحظور اللغوي دراسة لغوية تطبيقية

أ.م.د. بكر محمد محمود أبو معيلي
كلية العلوم التربوية والآداب (الأنروا) عمان- الأردن
b.muili@unrwa.org

الملخص

تناولت هذه الدراسة المحظور اللغوي في المجتمع الأردني دراسة تطبيقية، فقامت بجمع الألفاظ التي يأباها المتكلم في حديثه أمام الآخرين، مراعياً السياق والمقام ومدى درجة قبوليتها في المجتمع، ووجدت الدراسة أن هذه المقبولية للمفردة تتفاوت بين بيئة وأخرى، وتحتكم كذلك الأمر إلى طبيعة المتلقي من حيث جنسه وعمره وعدده. ومن ثم وقفت على دوافع الحظر في الكلام كالدافع الديني الذي يُعدُّ من أقوى الدوافع بالنسبة للمتكلم، فالدافع الاجتماعي الذي يضبط أقوال الفرد في مجتمعه الذي يعيش فيه، وكذلك الدافع الثقافي الذي يحمل الموروث الثقافي للمتكلم المكون لشخصيته، وأخيراً الدافع النفسي الذي يتمثل في عدد من الجوانب كالخوف والقرف والتشاؤم. وتطرقت الدراسة إلى المحظور اللغوي من خلال نظرة تأصيلية عند علماء العربية، وبينت أن العرب القدماء قد أشاروا كثيراً إلى نبذ الفاحش من القول بطرق عديدة كنايةً وتعريضاً وذكر اللطيف من القول وغير ذلك؛ مدلّلة على هذا بنماذج من المحظور اللغوي في التراث العربي القديم. ومن ثم بحثت الدراسة اللفظ المحظور في المجتمع الأردني مقسمةً ذلك بعدد من الموضوعات كالألفاظ المتعلقة بالأمراض ومتعلقات النساء وحاجاتها، والألفاظ المتعلقة بالأعضاء الجنسية وحاجاتها، والألفاظ المعبرة عن بعض السلوكات.

الكلمات المفتاحية: المحظور، المجتمع الأردني، اللغة.

نشر هذا البحث بدعم من وحدة البحث العلمي في كلية العلوم التربوية والآداب

Abstract

This study dealt with the linguistic taboos in the Jordanian society as a practical study. The study collected the words refrained to be spoken by the speaker in his/ her conversation in front of others, taking into consideration the context and prestige and degree of its acceptance in the society. It found that this acceptance of individual words varies from one environment to another and it also depends on the nature of the recipient in terms of his/ her sex, age and number of recipients.

The study discussed the motives of taboos in speaking such as the religious motive which is the most powerful for the speaker as well as the social motive which is the governor of the individual's sayings in the community where she/ he lives. The study also discussed the cultural motive bearing the cultural heritage of the speaker which is the component of his/ her personality and, finally, the psychological motivate, which is represented in a number of aspects such as fear and disgust and pessimism

The study referred to the linguistic taboos through a fundamental view of the Arab scholars. The study pointed out that the early Arabs reject the obscene words in many ways: metaphor, gentleness of sayings and other things proving them with samples of linguistic taboos in the ancient Arabic heritage.

The study also examined the prohibited words in the Jordanian society by considering a number of subjects such as words related to diseases, women and their needs, terms related to sexual organs and their needs as well as terms that express some behaviors.

Keywords: taboo, Jordanian society, language

إطلالة :

اللغة ملك أية مجموعة بشرية هي ملك عام لهذه المجموعة وبيئة مشتركة بين متكلميها، والناس تشترك في اللغة كما تشترك في الأعراف والعادات والتقاليد؛ لذا من حق أية مجموعة بشرية أن تحتج على تلويث لغتها بالطريقة نفسها التي تحتج بها على تلويث هوائها أو مائها أو غذائها مثلاً، وإذا كانت الأضرار التي يلحقها تلوث البيئة تنحصر في أمراض يدفع ثمنها الجسم، فإن الأضرار التي يلحقها تلوث اللغة تتسبب في إلحاق خسائر فادحة في الروح والأخلاق أيضاً.

فاللغة إذن فضاء رحب مشترك لا يمكن لأي منا ادعاء ملكيتها بالطريقة نفسها التي لا تخول أيا منا ادعاء ملكية الهواء الذي نتنفسه، كذلك لا يجوز تلويث هذه اللغة المشتركة التي اتفقنا أنها ملك للجميع؛ فلذا وجدنا ما ترفضه أذن السامع من ألفاظ كثيرة تنافي معتقده الديني أو الثقافي أو الاجتماعي وغير ذلك، ففي موضوع المحظور اللغوي نجد أن العربية تعد في مقدمة اللغات الراقية لما وصلت إليه من تهذيب ألفاظها وسمو أساليبها ودقة تراكيبها.

فمن تشريف الله تعالى لها خلَت العربية مما ينبو عنه السمع، أو يخدش الحياء، ولعل نظرة في كتاب الله تعالى تنبؤنا عن هذا الرقي الذي اتسمت به العربية في موضوعات يتحرج منها الإنسان المسلم كالرفث

والوطء والجماع، فعبر رب العزة عن مثل هذه الأمور بأبلغ تعبير وأرقاه وأسماه، كقوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿أفضى بعضكم إلى بعض﴾[٢] وغيرها من آيات الذكر الحكيم.

وهذا يقودنا إلى مسألة التلطف اللغوي الذي يقابل العنف اللغوي ذلك أن اللغة مرآة تعكس واقع أي مجتمع وتصبغه بصبغتها، وعلى الجماعة اللغوية التي تستخدم اللغة أن تلتزم بالأعراف اللغوية التي ترتبط بالأعراف الاجتماعية، كذلك فإن اللغة -نظرا لارتباطها الوثيق بالجماعة- لا تجيز التعدي أو مخالفة أعرافها اللغوية المرتبطة بالضمير الجماعي.

فاللغة في مستوييها المنطوق والمكتوب ملزمة بمراعاة الآداب العامة المتعلقة بالحشمة، التي تنظم الأفراد في علاقاتهم ومعاملاتهم وأساليب تخاطبهم، كل هذا ينعكس صداه في لغتهم وتعبيراتهم، فإن كانت ألفاظ الجماعة اللغوية مراعية لأعراف المجتمع، دقيقة في تخيُّر ألفاظها عندها يمكن أن نسمَ لغتهم بأنها لطيفة، وإلا اتسمت لغتهم بأنها عنيفة.

وهذا يقودنا إلى ما يعرف في علم اللغة الاجتماعي بـ(التابو) ويقصد به المحظور اللغوي أو ألفاظ اللامساس أو الحرام اللغوي، وهو ما تتسم به لغتنا إلى حدِّ ما في تعبيراتها وصورها فيما يُعرف في بلاغة العربية بأسلوب الكناية والتعريض، بل إن الشعر العربي قائم أساساً على فكرة التلميح لا التصريح كما قال البحتري:

والشعر لمح تكفي إشارته ... وليس بالهذر طُوّلت خطبُه[٣]

الحظر لغة واصطلاحًا:

جاء في اللسان: "الحظْر: الحَجْر، وهو خلاف الإِباحة، والمحْظور: المحَرَّم، حظر الشيء يحْظُره حظراً وحظاراً وحظر عليه: منعه، وكلُّ ما حال بينك وبين شيء، فقد حَظَرَهُ عليك"[٤].

وأما الحظر اصطلاحاً فالمقصود به ما لا يُسمح أن يقال بلفظ حقيقي أو مجازي؛ لأنه مخالف لما تتفق عليه المجموعة من الناس؛ بناء على قيمها ومعتقداتها ودينها وثقافتها وعرفها الاجتماعي أي بمعنى: "أنّ هذه الألفاظ ممّا تنفر من سماعها الطباع السليمة، لكونها سوقية جارحة للذوق، تنبئ عن دلالات مكشوفة، مستهجنة ممّا يدعو إلى إيجاد معادل لفظي محسّن ومقبول، بديل عما يُحظر استعماله يُسمّى

المحسن اللفظي"٥، وعرف أحمد مختار عمر المحظورات اللغوية بأنها "كلمات أو تعبيرات غير مهذبة أو بذيئة، لها إيحاءات مكروهة ودلالتها على ما يستقبح ذكره"٦، فالحظر اللغوي بهذا يعدُّ " ظاهرة لغوية طبيعية موجودة في لغات العالم البشرية الطبيعية كلها، لأنها ظل لصفتي أمن اللبس والتداول الاجتماعي في العملية اللغوية، فمن أمن اللبس يأتي التقنين الذي ينظم تفعيل قوانين اللغة تفعيلاً ينأى عن التعارض والتناقض والتداخل السلبي، بهدف حفظ هُويّة كل قانون لغوي على حدة"٧.

الألفاظ الدالة على اللفظ المحظور:

استخدم العرب القدماء والمحدثون كثيراً من الألفاظ للدلالة على اللفظ المحظور كالكناية والتعريض واللفظ الفاحش، واللفظ الخسيس، واللفظ البذيء، والمستكره من القول، واللفظ الحرام، والتورية في الكلام، واللمز أو الإشارة في الكلام، فذكر البغدادي كثيراً من المسميات للدلالة على المحظور بقوله:" هذا الفن وأشباهه يسمى المعاياة، والعويص، واللغز، والرمز، والمحاجاة، وأبيات المعاني، والملاحن، والمرموس، والتأويل، والكناية، والتعريض، والإشارة، والتوجيه؛ والمعمى، والممثل، والمعنى في الجميع واحد، وإنما اختلفت أسماؤه بحسب اختلاف وجوه اعتباراته "٨، فالمحاجاة تعني عدم الوضوح ومنه الأحجية، والملاحن تعني الانزياح في استعمال لفظ معين عن الدلالة العامة الشائعة المعروفة لدى الناس، إلى دلالة معجمية أخرى لهذا اللفظ نفسه، لا يعرفها السامع ولا يدرك معناها إلا بعد مراجعة المعجمات، أو بعد أن تُفسّر له٩، والمرموس كناية عن القبر (الرمس) فهو مجهول عنا لا نعرف ما يحصل لصاحبه فيه، وأما المحدثون فاستخدموا عدداً من المصطلحات الدالة عليه كالمحظور و واللامساس والابتذال وغير ذلك، وشاع بينهم مصطلح التابو (Taboo) كثيراً، ويعنون به الكلام المحظور أو المحرم اللغوي، أو اللامساس الذي يعني :" كل ما هو مقدس أو ملعون ويحرم لمسه أو الاقتراب منه لأسباب خفية سواء أكان إنساناً أم كلمة أم شيئاً آخر "١٠.

دوافع الحظر اللغوي:

تعددت أسباب الحظر اللغوي وذلك لارتباطها بعدد من الجوانب من حيث المجتمع والثقافة والدين والجنس وتفرعاتها، وأشار القدماء إلى سبب عدم التصريح في الكلام فالجاحظ يرى أن الناس "يريدون

أن يظهروا المعنى بألين لفظ، إما تنزهاً، وإما تفضلاً، كما سموا المعزول عن ولايته مصروفاً، والمنهزم عن عدوه منحازاً، نعم حتى سمى بعضهم البخيل مقتصداً ومصلحاً، وسمى عامل الخراج المتعدي بحق السلطان مستعصياً"[١١]، وكل لغة لها ضوابطها في مساحة الحرية في الكلام تتباين في المجتمعات فما يكون "عليه الأفراد من حشمة وأدب في شؤونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض؛ ينبعث كذلك صداه في لغتهم ألفاظها وتراكيبها، فاللغة اللاتينية لا تستحيي أن تعبر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة، ولا أن تسمّيها بأسمائها الصريحة، على حين أن اللغة العربية بعد الإسلام تلمس أحسن الحيل وأدناها إلى الحشمة والأدب في التعبير عن هذه الشؤون؛ فتلجأ إلى المجاز في اللفظ وتستبدل الكناية بصريح القول"[١٢]، وتتباين هذه الدوافع في المجتمعات، بله تتعرض إلى الزيادة والنقصان جراء تطور الحياة وانفتاح الشعوب على بعضها، بعدما أصبح العالم على سعة رحابته قرية صغيرة، فالحاجة إلى ذكر اللفظ البديل مطلب مهم عند المتكلم إذ "الإعراض عن المحظور اللغوي ليس وقاراً متصنّعاً، وإنما هو حاجة لربط المقام بالسياق في أحوال تواصلية معلومة، ولذلك نجد أنّ بعض الألفاظ المحظورة لا يقبح ذكرها في كلّ سياق"[١٣]،أما فيما يتعلق بدوافع اللغة العربية فتتمثل فيما يأتي:

أولاً: الدافع الديني:

يعدّ الدافع الديني من أقوى الدوافع التي يحتكم إليها الإنسان في تحديد نمط حياته تصرفاً وقولاً، فمفهوم الحلال والحرام يعدُّ المعيار الرئيس الذي ينظم حياة الفرد في حياته إرضاءً لربه؛ ليفوز بما وعده به، وبما أن اللغة سلوك فلا بدَّ للفرد أن ينظم قوله وسلوكه، وأن ينتقي ألفاظه التي تُعبّر عن سلوكه خوفاً من يوم الحساب، فالمسلمون يعلمون بأنهم محاسبون على أقوالهم؛ لقوله عز وجل: ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[١٤] كما هم محاسبون على أفعالهم، فالدين جاء لتنظيم حياة الفرد وتهذيبها وتبيان المقبول من سلوكه من غير المقبول، ومما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:" ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان ولا الفاحش، ولا البذيء"[١٥]، فهذا الضابط بالنسبة للعربي من أقوى الضوابط تأثيراً في كلامه، فالدين الإسلامي ليس ديناً منفصلاً عن حياة الفرد، إذ لا يقتصر على طقوس الصلاة وحسب؛ بل جاء لينظيم حياة الناس من جميع جوانبها كعلاقة الفرد مع الآخرين، وإخلاصه في عمله، وطلب العلم وتنظيم الزواج والطلاق وغير

ذلك الكثير من أمور حياة الناس، ويكون هذا كله من خلال التواصل اللغوي مع مجتمعه، وعليه لا بدَّ أن يكون هذا التواصل مضبوطاً ومحكوماً دينياً أيضاً، فالإسلام متمم لمكارم الأخلاق، و"المجتمعات المتحضّرة جعلت من المحظورات اللغوية سلوكاً أخلاقياً ينبع من العادات الاجتماعية النبيلة، التي زادها الدين الإسلامي في لغتنا العربية رقيّاً وصيانة عن كلّ لفظ خسيس أو قبيح، وكانت المحسنات اللفظية قيمة تواصلية فاعلة في إخراج الناطقين بالعربية من حرج القول والتعبير، عمّا يستقذر أو يستحيا من ذكره صريحاً إلى اللفظ الرشيق"[١٦]، وخير دليل على هذا هو النص القرآني الذي تضمن كثيراً من الألفاظ غير الصريحة دلالتها على ما يتعارض مع طبيعة المسلم بحسب دينه أو ثقافته أو معتقداته.

ثانياً: الدافع الاجتماعي:

يُعدّ المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ضابطاً قوياً لانتقاء ألفاظه عند التعبير عن مكنونات النفس، ويتنوع هذا الدافع من وجوه عدة تتمثل في علاقات الفرد مع محيطه الخارجي الذي يعيش فيه، فمثلاً تختلف الألفاظ التي يتكلم بها مع الآخرين في حضور النساء، إذ لا بدّ من الابتعاد عن بذيء القول من الألفاظ كاستخدام الألفاظ الجنسية عند الاعتراض على كلام أو سلوك حدث أمامه، فبوجود المرأة وبخاصة الغريبة عنه يتغير مجرى الكلام وألفاظه، ويُحتكم فيه إلى طبيعة الأفراد الموجودين ومدى علاقتهم قرباً أو بعداً من المتكلم من الضوابط الاجتماعية للكلام، فكلما كانوا قريبين من المتكلم كأصدقائه أو إخوته أو زملائه في العمل كانت مساحة الحرية في الكلام أكبر من جهة، وإن كان الموجودون من الرجال فقط اتسعت مساحة الحرية في الكلام من جهة أخرى، ونفس الأمر بالنسبة للمرأة المتكلمة فإنها تكون حريصة في كلامها أمام الرجال، فطبيعة الكلام وألفاظه تقل درجة الحذر فيه أو تزيد نظراً لمن يستمع من المُتلقّين، فالبنية الاجتماعية تؤثر "على البنية اللغوية، وتظهر هذه العلاقة من خلال أن اختلاف الفئة العمرية، يؤثر في أسلوب اللغة المستخدمة، هذا الأسلوب الذي دائما ما يكون متأثراً بالأصل الاجتماعي و كل مكوناته من جنس و عرق و نوع، هذا يعني أن استخدام اللغة يتأثر بالعوامل الاجتماعية"[١٧].

ومن متعلقات الدافع الاجتماعي القوانين التي تحتكم إليها المجتمعات، فالفرد في مجتمعه يكون حريصاً على ألا يخطئ في سلوكه كي لا يتعرض للحبس، فهناك قوانين كثيرة ضابطة للفرد في تعامله مع الآخرين، ومن قبيل هذا التعامل التواصل اللفظي، وهذا التواصل محكوم بقوانين في الدستور الذي يتكّئ عليه

القاضي في حكمه على المُدانين، فمن قبيل مجتمعنا هناك ما يسمى بجُرم الذم والقدح والتحقير للأفراد والمؤسسات، تصل فيها العقوبات إلى الغرامات المالية العالية بله الحبس.

ويبدو أن الضابط الاجتماعي غير ثابت فحياة الناس تتطور في جميع جوانبها من عادات وتقاليد وطريقة العيش، وهذا يقابله تطور في تقبل اللفظ لدى المجموعة من الناس، فطرق التعبير "تختلف من عصر لآخر، فلكل عصر مذهبه في الكناية من حيث النوع ومن حيث النسبة (درجة الحضور)، لأن ذلك يتحكم فيه أمور كثيرة أشرنا إلى بعضها، بل إن الأقاليم والمدن في العصر الواحد تمايز في طرق التكنية والتعريض، وهذا ما يفسر ما نجده عند القدماء في مؤلفاتهم في قولهم: والعامة تكني عن كذا بكذا، أو أهل بغداد يكنون بكذا عن كذا، أو أهل العراق أو أهل المدينة وما إلى ذلك"[١٨]، وهذا صحيح فليست كل الألفاظ محظورة، بل إن الاتفاق بين المجموعة من الناس هي من تتعارف على أن هذا اللفظ محظور وهذا غير محظور، لذا نجد لفظة غير مقبولة في المجتمع الأردني في حين هي مقبولة في المجتمع المغربي مثلاً.

وهذا كله يبحث من منظور علم اللغة الاجتماعي الذي يقرر أن اللغة سلوك اجتماعي بالنسبة للمرسل والمتلقي على حد سواء، فالمتكلم ليس منعزلاً عن مجتمعه حين يتكلم، وكذا المتلقي ليس بمعزل عن مجتمعه في قبول الكلام أو رفضه.

ثالثاً: الدافع الثقافي:

ثقافة الأمم من الأمور التي تنظم حياة الناس بحسب معتقداتهم ونظرتهم للأشياء، فمثلاً نجد المجتمع العربي ينظر بعين التشاؤم للبوم، ويتطيرون منه ويعدونه نذير شؤوم بحسب ثقافتهم، في نفس الوقت تنظر بعض المجتمعات الغربية إلى البوم بعين التفاؤل، بل ويقومون بوضع صورته على جدران بيوتهم، وتتباين نظرة التفاؤل والتشاؤم بين الشعوب في الألوان والأرقام ورؤية الأشياء وسماع بعض الأصوات والمنامات وغير ذلك، وهذا الدافع الثقافي يكون مؤثراً قوياً في السلوك اللغوي للمجتمعات، فكما أن الثقافة تؤثر بالحكم على الفرد من حيث تحضره ورقيّه في مجتمعه، فهي كذلك الأمر تعدُّ معياراً بالنسبة للناس في انتقاء ألفاظهم، فكثير من الألفاظ يتجنبها بعض الناس كمسميات الأمراض وذكر العورات وأماكن القاذورات، فيعمدون إلى ذكر البديل من اللفظ تلطفاً أو الإيماء ببعض الحركات أو الكناية عن اللفظ.

والعرب قديماً كانوا يتشاءمون من رؤية الطير الأسود، وتذكر لنا كتب اللغة " أن العرب في الجاهلية قد اعتادوا زجر الطير وعيافتها، واعتبروا تيامنها فألاً، وتياسرها شؤماً، وسموا الطائر عن يمينك بالسانح،

وسموا الطائر الذي عن يسارك بالبارح"[١٩] وتشاءموا كذلك من الحرب التي تجر الويلات كحرب داحس والغبراء لقول الشاعر[٢٠]:

متى تبعثوها تبعثُوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فَتفطِم

ووقع التشاؤم عندهم في الغراب من الطيور قال الجاحظ:" وكل غراب يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم، أما غراب البين نفسه فغراب صغير، و إنما قيل لكل غراب، غراب البين، لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها"[٢١]، وذكره العرب القدماء بنذير الشؤم بقولهم:" فبينما أنا في نشوة الخطاب، وسكرة هذا الشراب، إذ سمعت صوت غراب، ينعق بين الأحباب ويفرق بين الأتراب، وينوح نوح المصاب، ويندب ما يجده من أليم العذاب، قد لبس من الحداد جلبابا، ورضي بين العباد بتسويد الثياب فناديته: أيها النادب، لقد كدرت ما كان صافيا، ومررت ما كان حلواً شافياً، فمالي أراك في البكور ساعياً، وعلى الربوع ناعياً، وإلى البين داعياً، وإن رأيت شملاً مجتمعاً، أنذرت بشتاته، وإن رأيت ربعاً مربعاً، بشّرت بدروس عرصاته، فأنت لذي الخليط المعاشر، أشأم من قاشر"[٢٢]، وكذا تشاءموا بالبوم الذين اقترن به الخراب[٢٣] .

رابعاً: الدافع النفسي:

ويرتبط هذا الدافع بالمرسل والمتلقي على حد سواء، فيعمد المتكلم إلى التخلص من ذكر اللفظ صراحة باستخدام اللفظ البديل أو الإيماء إليه قولاً أو إشارةً بجسمه، ويتعلق هذا الدافع بعدد من المحددات، كالخوف والقرف والتشاؤم، ففي الخوف يهرب المتكلم من ذكر بعض الألفاظ صراحة ويلجأ إلى البدائل وهذا ما "يفسر كثرة الألفاظ الدالة على الموت والقتل والمرض... فكلمة الموت أو كلمة الهلاك تستبدل بها كلمات وعبارات وجمل أخرى محسنة، نحو: توفى، وتوفاه الله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه... "[٢٤]، أما القرف فيتعلق بكثير من الألفاظ التي تقع ثقيلة على السماع لدلالتها المنبوذة كفضلات الإنسان، وبعض متعلقات الأمراض، وأما التشاؤم فهو من الغرائز الإنسانية التي تتباين بين الشعوب بحسب

معتقداتها وثقافاتها، ويقع في كثير من الألفاظ كتشاؤم الناس من رؤية طائر بعينه كالبوم والغراب، حتى إنهم يصفون بعض الناس من باب الذم فيقولون: وجهه كالبوم أو كالغراب، ويقع التشاؤم كذلك في بعض الأرقام أو الألوان أو الأصوات المسموعة وغير ذلك.

فالمتكلم يعمد إلى التخلص من الألفاظ الصريحة "المتعلقة بالمحرمات كالزنا والخمر والعلاقات المحرمة، فالإنسان حينما تستهويه ملذات ومحرمات هو مقتنع بحرمتها، وقبل ذلك بشناعتها وضررها، ورفض الأسوياء لها، يحاول أن يغير من أسماء تلك الأعمال حتى تصبح مقبولة على مستوى التعبير ظنا منه أن ذلك يبيض من سوادها ويخفي بشاعتها"[٢٥].

المحظور اللغوي نظرة تأصيلية عند علماء العربية:

أشار علماء العربية في تفاسيرهم ومؤلفاتهم إلى المحظور من اللفظ و"لعل أول إشارة إلى المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في التراث العربي جاءت في مطلع القرن الثالث الهجري عند الفراء، إذ تعرض بالتفسير لقوله تعالى ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى﴾[٢٦] قائلاً: والمعنى في قوله:﴿ وإنا أو إياكم﴾: إنا لضالون أو مهتدون وهو يعلم أن رسوله المهتدى، وأن غيره الضال (الضالون) فأنت تقول فى الكلام للرجل: إن أحدنا لكاذب فكذّبته تكذيباً غير مَكشوف، وهو فى القرآن وفى كلام العرب كثير: أن يوجّه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عُرف... ومن كلام العرب أن يقولوا قاتله الله: ثم يستقبحونها، فيقولونَ: قاتعه وكاتعه، ويقولون جُوعاً دعاء على الرجل، ثم يستقبحُونها فيقولون: جُوداً، وبعضهم: جُوساً ومن ذلك قولهم: وَيْحك وَوَيْسَكَ، إنما هى ويلْكَ إلاّ أنها دونها بمنزلة ما مَضَى"[٢٧].

وقد أشار علماء العربية القدماء إلى مصطلحات تفيد عدول المتكلم عن ذكر اللفظ صراحة بلفظ آخر، فاستخدموا مصطلح الكناية والتعريض، فالكناية لغة، يقول ابن منظور: ""أن تتكلَّم بشيءٍ وتريد غيرَهُ، وكنى عن الأمر بغيره يكني كنايةً يعني إذا تكلَّمَ بغيره ممَّا يُسْتَدَل عليه، نحو الرَّفَثِ والغائط"[٢٨]، وعرفها الجرجاني قائلاً:" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[٢٩]، ومصطلح الكناية ورد بداية في مطلع القرن الثالث الهجري عند معمر بن المثنى في تفسير قوله تعالى: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾[٣٠]

قال في تفسير هذه الآية:" كناية عن حاجة ذي البطن"[٣١]، فاستخدم مصطلح كناية للدلالة على حاجة المرء لقضاء الحاجة.

ويتعلق المحظور اللغوي عند العرب في كثير من الموضوعات كالألفاظ الجنسية والتطير والمرض والموت والنكاح وغير ذلك.

فمن قبيل التطير فهم يكرهون ذكر كلمة الموت صراحة، ويلجؤون إلى اللفظ البديل للدلالة عليه، فيعمدون إلى " ترك اللفظ المتطير من ذكره إلى ما هو أفضل منه، وإلى ما يُتفاءل به كقولهم: فلان لعق إصبعه، واستوى في أكله، ولحق باللطيف الخبير، يكنون عن الموت فعدلوا إلى هذه الألفاظ تطيراً من ذكره بلفظه"[٣٢]، ويذكر الثعالبي أنهم يكنون عن الموت ولا يصرحون باسمه فيقولون:" استأثر الله به، أسعده الله بجواره، نقله الله إلى دار رضوانه، ومحل غفرانه، كتبت له سعادة المحتضر، وأفضت به إلى الأمر المنتظر، اختار الله له النقلة من دار البوار إلى محل الأبرار"[٣٣].

ويشير الجرجاني إلى أهمية الكناية عند العرب فهي "عبارة الإنسان عن الأفعال التي تستتر عن العيون في العادة، من قضاء الحاجة، والجماع وما يجري معهما، وما يقرب منهما، بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها، تنزيهاً عن إيرادها على جهتها، وتحرزاً عما صيغ لأجلها، إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها، فالكناية عنها خِدْر لمعانيها، يُستتر به عوارها، ويُحتجب عن الأسماع شَنارُها"[٣٤].

وقد استخدم العرب كثيراً من الألفاظ للدلالة على اللفظ المستقبح فقد ورد في مؤلفاتهم مصطلح الكناية والتعريض واللفظ البديل، وعبر ابن جني عن خصيصة اللطف أو اللطافة في العربية مقارنة بغيرها بالقول:" لو أحسَّت العجمُ بلطف صناعة العرب في هذه اللغة، وما فيها من الغموض، والرقة، والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقديم لها، والتنوية بها"[٣٥].

والعرب قديماً كانت تكره السباب والشتم، وإن فعلت ذكرت ما في الخصم ولم تظلمه، فورد عنهم بأنه "سبَّ أعرابي أعرابياً، فسكت، فقيل له: لم سكتّ عنه؟ فقال: مالى علم بما فيه، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه"٣٦، وكانوا إذا شتموا لم يذكروا سوءة ولا سبُّوا أختاً ولا عِرضاً وإنَّما يذكرون فيه أخلاقاً غير مرضية، فيقولون: إنه لضيِّق اليد، لئيم العشرة، لا ينجد الجار[٣٧].

نماذج من المحظور اللغوي في التراث العربي القديم:

قال الثعالبي:" والعرب تقول لا أرى لحاقن ولا لحاقب، فالحاقب كناية عن البول ، والحاقب كناية عن الذي احتاج إلى الخلاء"[٣٨]، قال ابن منظور:" والحاقِبُ :هو الذي احْتاجَ إلى الخَلاءِ، فلم يَتَبَرَّزْ، وحَصَرَ غائطَه، شُبِّه بالبَعِير الحَقِبِ الذي قد دَنا الحَقَبُ مِن ثِيلِه، فمَنَعَه من أَن يَبُولَ"[٣٩].

ومما جاء من لطيف التعبير عند القدماء في اللفظ عن :"النكاح في شعر الجاهلية قول الأعشى:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحمد رفعـــة لما ضاع فيها من قروء نسائكا[٤٠]

القروء هاهنا: الأطهار، لأن الممدوح لما كان كثير الغزو، ولم يغش نساءه للغيبة عنهن في مغازيه؛ أضاع أطهارهن"[٤١]. والعرب تكني عن الصفات السيئة في الفرد كالبخل؛ فكانت تقول عن :"البخيل: المقتصد، ويقال فلان نظيف المطبخ وفلان نقي القِدْر، قال الشاعر:

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم طبخ القدور ولا غسل المناديل

وقال آخر:

مطبخ داود من نظافته أشبه شيء بعرش بلقيس

ثياب طباخه إذا اتسخت أنقى بياضا من القراطيس

قال أبو نواس:

رأيت قدور الناس سوداً من الصَّلى وقدر الرَّقاشيَيْن بيضاء كالبدر

وقال الجماز لرجل: رحم الله أباك، فقد كان نظيف منديل الخوان"[٤٢].

قالت العرب: ما له عافطة ولا نافطة[٤٣]، يعنون بذلك أنه فقير لا يقوى على شيء، غير أن الاعتبارات اللغوية والاجتماعية فرضت عليها قيودها، إذ ثمة فرق بين قولهم: (ما له عافطة ولا ناطفة) وبين قولهم: (فلان فقير لا يقوى على شيء من متاع الدنيا، والعافطة: الضأن التي تعفط بحليبها، والنافطة: الماعز التي تنفط بمخاطها، معنى ذلك أنه فقير فقراً مدقعاً.

قولهم: ما له ثاغية ولا راغية: أي أنه لا يملك إبلاً ولا غنماً، بل إنهم في الدعاء على الرجل يقولون: ما له آمٌ ولا عام، وآم: أي أنه أصبح أيّما بعد وفاة زوجه، وعام من العيمة إلى اللبن خاصة، ولا يعيم إلا إذا لم تكن عنده شياه أو إبل، وهذا دعاء بالشر، يدعون عليه أن يئيم؛ أي تموت زوجه، ويعيم إلى اللبن خاصة؛ لأنه لا يملك المال، والمال عند العرب يعني الإبل والغنم خاصة، ومنه دلالة على الفقر " أن امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت: أشكو إليك قلة النيران: فقاله لخدامه، املأوا لها دارها لحماً وسمنة ورزاً وخبزاً"٤٤.

وهكذا نلاحظ أن العرب في تعبيراتهم وأساليبهم يلجؤون إلى التعريض والكناية لا إلى التصريح، وهذا ضرب من التلطف اللغوي؛ لأن مثل تلك الأمثال السابقة لو قيلت على حقيقتها وبألفاظها الأصيلة التي وُضعت لتلك المعاني؛ لاتسمت بالعنف الذي تأنف منه النفس البشرية، فإن عزة العربي وأنفته تأبيان عليه أن يسم الآخرين بألفاظ عنيفة تأباها نفسه، بل إن أحدهم كان يشهد بشدة بأس عدوه، وهذه سمة تتكرر كثيراً في الشعر العربي، يعترف ببسالة عدوه، وهذا -بالضرورة- مدعاة إلى الاعتراف من الآخرين بشجاعته هو؛ إذ واجه خصماً صعب المراس، ومِحشّ حرب على حد تعبيرهم.

ويمتنع المتكلم من النطق بما يتعارض مع طبيعته اللغوية ويعده من المحظور الذي يأبى أن ينطقه لأنه يتنافى مع سليقته اللغوية التي تعوَّد عليها، ومنه ما ذكره ابن حني من قصة الأعرابي بقوله:" وأخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني... قال: قرأ على أعرابي بالحرم (طيبي لهم وحسن مآب) فقلت: طوبى، فقال: طيبي، فأعدت فقلت: طوبى، فقال: طيبي، فلما طال عليّ قلت: طوطو، قال: طي طي، أفلا ترى إلى هذا الأعرابي، وأنت تعتقده جافياً كزّاً، لا دمثاً ولا طيعاً كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء، فلم يؤثّر فيه التلقين، ولا شنى طبعه عن التماس الخفة هزّ ولا تمرين، وما ظنك به إذا خُلّي مه سَوْمه، وتساند إلى سليقته ونَجْره"٤٥.

المحظور اللغوي في اللهجات الأردنية:

يمتاز المجتمع الأردني بخصوصية عن باقي المجتمعات العربية كونه مجتمعاً عشائريا محافظاً لعاداته وتقاليده، فلا بدَّ للمتكلم أن يراعي انتقاء الألفاظ عند كلامه، وبخاصة فيما يتعلق بالألفاظ الجنسية والعورات، فيلجأ المتكلم كعادة العربي إلى استخدام اللفظ البديل للتعبير، ويرتبط هذا التعبير بعدد من المحددات تبدأ من المتكلم نفسه، فكبير العشيرة والقائد لمجموعته كالمعلم وربِّ العمل والأب لأبنائه لا بد له من المحافظة على سلوكه اللغوي أثناء الخطاب، فهو القدوة التي تُحتذى، ويعلم كمتحدثٍ أن كلامه

محسوب له أو عليه، والمحدد الآخر يتمثل في طبيعة المتلقي من حيثُ عمرُه وجنسه، ففي حضرة النساء يكون المتكلم مراعياً لألفاظه بشكل أكبر في حال كون المتلقي من الرجال، إضافة إلى طريقة التلقي إن كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية تعدُّ محداً ثالثاً.

ويكون المتكلم حذراً في ألفاظه بوجود دخيل على المجموعة من مثل:

أولا: وجود مجموعة من الرجال ثم تدخل امرأة أو صبي فيتغير مجرى الكلام بل وأسلوب التعبير، فيتخذ المتكلم البدائل أثناء حديثه رمزاً أو باللفظ البديل.

ثانيا: تواجد اثنين فأكثر ثم حضور شخص غريب فيكون المتكلم حذراً في حديثه وانتقاء مفرداته، ويلجأ إلى البدائل من المترادفات تصل في بعض الأحيان إلى استخدام مفردات من لهجات أخرى غير لهجة البيئة المحلية، ونجد في بعض البيئات الأردنية كلمة تحذيرية يفهمها أبناء المنطقة الواحدة لتحذّر المتكلم غير المنتبه إلى وجود غريب بين ظهرانيهم وتكون المفردة بمعنى الزم الحذر، ففي جنوب الأردن يستخدمون كلمة (داود) كإشارة تحذيرية للمتكلم بأن شخصاً غريباً بينهم وعليك أن تلتزم الحذر في كلامك، فإذا نُطقت فهي بمعنى انتبه، ونجد كلمة في وسط الأردن عند بعض القبائل وهي:(شكين) للدلالة نفسها كتحذير، إن سمعها المتكلم تغيَّر مجرى الكلام وأصبح المتكلم حذراً في حديثه.

ويتمثل المحظور اللغوي في اللهجات الأردنية في الموضوعات الآتية:

أولاً: التعبير عن الأمراض:

ففي أثناء الكلام بين الأفراد عند الحديث عن بعض الأمراض وبخاصة الخطيرة منها يعّبر المتكلم عن بعضها بوصفها، فسمعت أحدهم يخاطب رجلاً يبلغه عن إصابة صديقاً له بمرض السرطان قائلاً: أصابه المرض الخبيث، فلم يذكر المرض صراحة بلفظه، ومنهم من يقول: أصابه ذلك المرض، بل يتعدى الأمر إلى أن الرجل إن أراد ذِكْر هذا المرض يقوم بمسك الخشب، أو طرقه ثلاثاً، وفي بعض البيئات الأردنية لا يجرؤ المتكلم ذكر هذا المرض أمام الكبار في السن صراحة، وفي بيئة أخرى لا تقبل النساء الكبيرات في السن من المتكلم إن كان ابنها أو قريباً لها أن يشير إلى جسمه وهو متحدث عن إصابة أحد في المنطقة ذاتها، فإن صنع هذا أمامها عنَّفته وتردد مثلاً: الشرّ برى وبعيد.

وقد مالت العربية الفصحى في التعبير عن الأمراض التي تصيب الإنسان بالكناية والتعريض أو ذكر الضد له فمثلاً عبَّرت عن الملدوغ بالسليم، وعبرت عن البرص بطرق مختلفة، قال الثعالبي:" كان جذيمة

أبرص، فكنى عنه بالوضاح والأبرش، ولما برص بلعاء بن قيس قيل له: ما هذا؟ فقال: سيف الله جلاه، ويُروى حلّاه، بالحاء وتشديد اللام"[٤٦].

ويستخدم المتكلمون في المجتمع الأردني للدلالة على المريض فلان بعافية، فإن سئل أحدهم عن شخص مريض في المستشفى ما به؟ فيرد المخاطب مجيباً هو بعافية قليلاً، ولا يذكر ما به من مرض، أو حتى لا يقول عنه بأنه مريض، وكنَّت العرب عن الملدوغ بالسليم كما ورد في المعاجم، فهذا هروب من التصريح بلفظ مريض، ومنه قول الثعالبي:" قولهم خمشه الزمان، وهو من قول أبي الطيب المتنبي لسيف الدولة:

تخمَّشك الزمان هوى وحباً وقد يُؤذَى من المِقَة الحبيبُ"[٤٧]

ومنه قوله أيضاً:" عرضت له فترة أصابت عوده، اشتكى الكرم لشكايته، عرض له ما يجعله الله تمحيصاً لا تنغيصاً، وتذكيراً لا نكيراً، وأدباً لا غضباً، عرض له ما يمحو ذنوبه، ويكفر سيئاته"[٤٨].

ويقع من متعلقات الأمراض أن أحدهم عندما يُصاب بمرض معين وتكن بوادره ظاهرة للعيان كالرشح مثلاً، وظهر من أنف المريض شيء وهو غير منتبه يلجأ المتكلم إلى تنبيهه بدون التصريح بما رآه، خيفة الحرج أو الغضب من الشخص المقابل، فيذكر له لفظا لطيفاً -كما هو الحال في المجتمع الأردني- بقوله: أكرم أنفك، أو أن ينبهه من خلال الإشارة، وذلك بأن يمسح المرسلُ أنفه مرات تباعاً وهو ينظر لأنف المتلقي فيفهم عليه أن خللاً ما قد وُجد.

ثانياً: التعبير عن الألفاظ المتعلقة بالنساء:

تحرزت العرب منذ القدم من الإفصاح بالكلام المتعلق بالمرأة حتى أنها كنَّتْ عن المرأة نفسها "بالنعجة والشاة والقلوص والسَرْحة والحَرْث والعتبة والقارورة والقَوْصَرة والنعل والغُسل والقيد والظلة والجارة والحليلة "[٤٩]، ولا زالت هذه النظرة في أماكن كثيرة من المجتمع الأردني موجودة فيتحرز المتكلم من ذكر اسم زوجته أو أخته أو أمه في حضرة الرجال الغريبين عنه، ويلجأ للفظ البديل من مثل (أهل البيت، أوالمستورة، أو عيلتي، أو أم العيال، أو حَرَمُنا المصون) وغير ذلك من الألفاظ المختلفة، ولا يذكر اسمها مطلقاً، ومع وجود وسائل التواصل كالهواتف النقالة بات كثير من الناس يضعون اسماً رمزياً لها كي لا يظهر اسمها أمام أحد إنْ اتصلتْ به، ويغلب كثيراً على من تعاملت معهم بوضع الكنية لها بأم

فلان، ونجد ذلك كثيراً في بطاقة الدعوة للأعراس، إذ من عادة الناس ذكر اسم الزوج صراحة، وأما الزوجة فأسفل اسم أبيها يقولون: كريمته أو أميرته، ولا يذكرون اسمها، وكان هذا موجوداً قديماً عند العرب فيما ذكره الثعالبي في أن بلغاء العرب يكنون" عن البنت بالكريمة، وعن الصغيرة بالريحانة، وعن الأم بالحرة والبرة، وعن الأخت بالشقيقة، وعن الزوجة بكبيرة البيت، وعن الحرم بما وراء الستر"[٥٠].

والعرب قديماً كانت تكني كثيراً عن الألفاظ المتعلقة بالنساء كالحيض والنفاس، فمما ورد عنهم أن " بوارن بنت الحسن بن سهل لما زفت إلى المأمون حاضت من هيبة الخلافة، في غير وقت الحيض، فلما خلا بها المأمون، فقالت: (أتى أمر الله فلا تستعجلو...) فحذفت الهاء لئلا تكون آية كاملة، ففطن لحالها، وأعجب بها، وخرج في الحال"[٥١]، فأنفت المرأة أن تعبر عن وضعها صراحة حتى أمام زوجها فلجأت إلى عدم التصريح بحالها.

أما فيما يتعلق بالكلام في حضرة النساء فيمتاز المجتمع الأردني بالمحافظ تجاه المرأة سلوكاً وقولاً، ومرد ذلك هو الاحتشام والخجل، فالمتكلم في حضرة النساء يقع في الحرج الكبير إن زلَّ لسانه بكلمة جريئة خرجت عن عادات المجتمع وأعرافه، ولكن الانفتاح الكبير عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، واحتكاك المجتمع الأردني بغيره من المجتمعات الأخرى جراء الحروب والهجرات القسرية، أدَّى إلى تأثر قبول اللفظ لدى الناس كثيراً، فبعض المفردات كانت غير مقبولة البتة أنْ تنعت بها المرأة في المجتمع، ولكن مع مرور الزمن والتأثر بالثقافات الأخرى أصبحت اللفظة مقبولة في كثير من البيئات، منها على سبيل المثال كلمة (فايعة) إن وُصفت بها الفتاة قديماً كانت تحمل مدلولاً سلبياً دالاً على الفتاة غير المؤدبة المحتشمة، أما الان في بعض المناطق فأصبحت هذه المفردة دالة على الفتاة التي تملك زمامَ أمرها، بل وأصبحت جاذبة في الدعاية والإعلان للرحلات.

وعبر القرآن الكريم عن الألفاظ المتعلقة بالنساء بطرق متعددة دون التصريح بمحسوس كثير منها كإتيان الرجل امرأته، قال تعالى: ﴿عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾[٥٢] فالمباشرة جاءت لفظاً بديلاً لما "يحدث بين المسلم وزوجته ليلة الصيام"[٥٣]، وفي قوله تعالى:﴿ويسألونك عن المحيض...﴾[٥٤] فجاءت لفظة تقربوهن بمعنى إتيان الرجل

زوجته، وتعددت الألفاظ التي جاءت في القرآن لمثل هذه المعاني كما في: فلما قضى منها زيد وطراً، وتمسوهنَّ واهجروهنَّ في المضاجع[٥٥].

وترى الدراسة أن النظرة العامة للمرأة عند العرب قديما قبل الإسلام لا زالت مخلفاتها موجودة حتى يومنا الحاضر، إذ نظر المجتمع العربي القديم للمرأة على أنها جالبة للعار، فكثر قديماً وأد البنات، ولم تكن ترث أو تُورَّث، وتُملك ولا تَملك، والقارئ في علوم اللغة المختلفة يجد حضور الرجل أكثر من حضور المرأة، فالذين سُمعت منهم اللغة في مظانها كانت تشير إلى أن المسموع منهم هم من الرجال، وتردد هذا كثيراً في كتب اللغة والنحو، إذ كان يتردد قولهم: سمعت أعرابياً، وسمعت ممن يوثق بعربيته... وقلما ذُكرت المرأة، حتى أن اللغويين والباحثين القدماء أنفسهم هم من الرجال فلم نجد من النساء من اللغويين إلا النزر القليل، فهذا دليل واضح على نظرة المجتمع للمرأة.

ثالثاً: الألفاظ المتعلقة بالأعضاء الجنسية وحاجاتها:

تعرض العرب القدماء بالحديث في مؤلفاتهم لأعضاء الجسد، وتفاوتوا في التعبير عن العورات؛ فنجد الثعالبي قد أشار في فقهه إلى كثير من متعلقات الجسد وبخاصة العورات، وعبر عنها بألفاظ كثيرة متباينة، فقسم الذكورة عند الرجال وقارن موضوعها مع الحيوانات، وخصص "فصلاً طويلاً يتحدث فيه عن ضروب النكاح أصلية ومكنية، وارتباطها بحالات أوضاع النكاح المختلفة"[٥٦]، بل ذكر أن ألفاظ النكاح قد كثرت عند العرب قائلاً:" لعل أسماء النكاح مائة كلمة عن ثقات الأئمة، بعضها أصلي وبعضها مُكنًّى، وقد كتبت منها في تفصيل أنواعه وأحواله ما هو شرط الكتاب"[٥٧] وتزخر المعاجم اللغوية بكثير من الألفاظ المتعلقة بهذا الجانب كمعجم ابن سيده، ولجلال الدين السيوطي كتب جريئة تحمل عنوانات جريئة تناولت الأعضاء الجنسية، والعلاقة بين الرجل والمرأة وأحوالها.

ويتحرز المتكلم في المجتمع الأردني كثيراً في كلامه عند التعبير عن متعلقات الأعضاء الجسدية من العورات، ويقل هذا الاحتراز أو يزيد بطبيعة المتلقي من حيث جنسه رجلاً كان أم امرأة، ومن حيث عمره صغيراً كان أم كبيراً، وكذا درجة قُربه من المتكلم أو بعده.

وتتجذر كل هذه الأمور في نفس الإنسان مذ كان طفلاً صغيراً، إذ يعمد الأهل إلى تعليم الصغير من عمر سنتين أو أقل، بأن هذا الجزء من الجسد لا يجوز أن يراه الآخرون فهو من قبيل العيب؛ فلا بدَّ من ستره وعدم تمكين الآخرين من رؤيته، حتى أن كثيراً من أبنائنا تكون لفظة عيب من أوائل الكلمات

التي يتقنها، وتتشكل الخصوصية عند الطفل في نظر علماء النفس من عمر سنتين إلى خمس سنوات، فيعمد الطفل إلى تعلم الاعتماد على الذات في قضاء حاجته حتى سن خمس سنوات؛ وهذا مهم جداً كونه سيذهب إلى بيئة أخرى غير أسرته وهي بيئة المدرسة.

ويشعر الرجل أو المرأة بالحرج الكبير إن راجع طبيباً لفحص هذه الأعضاء أو متعلقاتها، حتى أن كثيراً ممن سمع منهم الباحث يقول: الموت أهون عليَّ من أن أراجع الطبيب لعلاج مرض كذا أو كذا، أما في متعلقات الأعضاء الجسدية في المجتمع الأردني فينأى المتكلم بنفسه عن ذِكْر مكان قضاء حاجته؛ ويعمد إلى استخدام اللفظ البديل من باب التلطف في القول قائلاً: سأذهب إلى بيت الخلاء، أو أريد أن آخذ على يدي ماءً، ومنهم لا يذكر مبتغاه مطلقاً بقوله: سأرجع بعد قليل، وإن سئل عن مقصده يكرر قوله مستنكراً: سأرجع بعد قليل، ومع تطور حياة الناس وجدنا ألفاظاً دخلت إلينا من لغات أخرى يستخدمها البعض للدلالة على مكان قضاء الحاجة بـ(W.C) وكثير من الناس يستخدمون لفظ (الحمّام) وهو الأكثر انتشاراً بين الناس في المجتمع الأردني.

ومن متعلقات الأعضاء الجنسية الروائح والفضلات، ففي المجتمع الأردني يعبرون عن الرائحة التي تصدر من الطفل عند خروج بوله بـ(الصنَّة) وتتفاوت درجة قبول هذه المفردة في المجتمع الأردني من بيئة إلى بيئة، وذلك بحسب الحضور من حيث الجنس، وتستخدم هذه المفردة كذلك الأمر كلفظة للسب والشتم في حالة النزاعات بين الأفراد كقول أحدهم للآخر: يا مصنّن، وتكون درجة استفزازها عالية الوتيرة.

رابعاً: التعبير عن بعض السلوكات:

يستخدم كثير من الناس ألفاظاً للتعبير عن بعض السلوكات غير المقبولة في الحصول على منفعة شخصية، فعلى سبيل المثال تستخدم بعض الألفاظ البديلة للدلالة على الرشوة، فلا يصرح بها المتكلم ويلجأ للتعبير عنها بقوله: هدية، أو ثمن فنجان قهوة، أو إكرامية، أو حَلَوان، أو أتعاب، وللأسف هذا مستشر في مجتمعاتنا العربية، ويبدو أنه يعدُّ من باب التحولات الاجتماعية التي تكون مرفوضة في المجتمع، فيلجأ الناس إلى استبدال اللفظ بلفظ آخر مقبول محبب لتزيين المدلول في نظرهم، ومن هذا الربا يعبر عنه كثير من الناس بمصطلح الفائدة، فالربا فيه نصوص دينية صريحة تصف المتعامل به بأبشع الصور، فاستبدلت اللفظة بأخرى وهي الفائدة، والفائدة مطلوبة لكل الناس في جميع جوانب حياتهم، ومنها كذلك الأمر كلمة الخمر أو المسكر ففيه تحريم واضح من جهة الدين، وعدم قبول البتة بين أوساط الناس في مجتمعهم؛ فليجأ بائعوه إلى تسميته بالمشروبات الروحية، وهذا موجود على أبواب محالهم تزيينا للفظة المنبوذة ديناً وعرفاً، ومن باب تزيين المدلول باللفظ أن يستخدم كثير الناس كلمة منبوذة فيصفها دون استبدالها

بشيء مقبول اجتماعياً، فيقول مثلاً في الهروب عند الشدة: الهروب ثلثين المراجل، ويقصد بالمراجل هنا: الرجولة، وهو السلوك المطلوب بين الناس في مجتمعاتهم ويسعون إليه، والمتكلم هنا جعل الهروب وهو المنبوذ غير المحبوب مطلباً وذلك حفاظاً على النفس.

فهذا التداول الاجتماعي لمثل هذه الألفاظ هو محاولة لتجميل الواقع المنبوذ باللفظ الجميل، لمعرفة المتكلم بالأثر اللغوي في السلوك الفردي، ومنه محاولات كثير من الناس الالتواء على القوانين والأعراف، وتأثر هذه السلوكيات اللغوية في التعبير عن السلوكيات الواقعية للأفراد بمدى احتكاك المجتمعات بالثقافات الأخرى، جراء عوامل الاختلاط من هجرات وانفتاح على الآخرين عبر وسائل التواصل المختلفة.

ومن باب السلوك الاجتماعي في المجتمع الأردني، يستخدم أهل الجنوب في كلامهم للدلالة على المرأة التي خرجت من بيتها في زيارة الآخرين مصطلح حوامة، فيقولون: حامت المرأة، فهي مقبولة بلفظها ودلالتها لا غضاضة فيها، غير أن هذه اللفظة منبوذة لها ظلالها غير المقبولة في بيئة أهل وسط الأردن وشماله، فلا يستخدمون مصطلح حامت المرأة إذا خرجت من بيتها، بل يعبرون عن هذا بلفظ ذهبت أو خرجت لزيارة جارتها مثلاً، ويبدو أن هذه اللفظة قد تكون من المتضاد في اللغة، وهو الذي كان مدعاة لتضخم المعجم العربي بتوسيع دلالة ألفاظه.

ومنه كذلك الأمر في المجتمع الأردني يستخدمون مصطلح (هامل وصايع وداشر) للدلالة على الشخص الذي لا يعمل ومسلكه في مجتمعه غير صحيح، فهذه من المحظور اللغوي لما تحمله من دلالات قاسية، لا يتقبلها كثير من الناس وتكون مدعاة لاستفزازه بعنف وبخاصة في المشاكل.

ويستخدم مصطلح كتة وجلدة، دلالة على الشخص البخيل في المجتمع الأردني؛ فكلمة كتة يبدو أنها جاءت من الشيء الذي أخذت منه فلم يبق فيه شيء؛ فيلجأ البخيل إلى تصفيته حتى يصل إلى حته حتاً، ويقال: كتته، أو أنها تدل على من يأتي الناس للاستدانة منهم ولا يعطونه؛ فيقال: كَتَه، أي طَرده ولم يُعطه، وأما كلمة جلدة فيخال لي أنها مأخوذة من قطعة الجلدة التي تُستخدم لمنع تسرب الماء من الأنابيب، وهذا البخيل وُصف بها كناية عن منع النقود من الخروج من جيبه دلالة على بخله، والعرب قديماً استخدمت كثيراً من الألفاظ الدالة على البخيل كقولهم:" فلان عاري الخوان، نظيف المطبخ، نقي القصد.. أخرس من الكلب"[٥٨]. ومن منطلق آخر تعد اللغة وسيلة لاكتساب السلوك الاجتماعي فمن خلالها يتعلم الطفل والشخص الغريب سلوكيات المجتمع، وفيه يقول هدسون: "يعد الكلام أحد العناصر المهمة في عملية اكتساب السلوم الاجتماعي، ليس من خلال ما ينقله لنا من معلومات وافية فقط بل من خلال المفاهيم التي يطالب الطفل بالتعرف عليها، كمعان للوحدات اللغوية المختلفة التي يتعلمها من

كلام الآخرين"[٥٩]، وهذا صحيح فاللغة كما هي وسيلة تواصل تعد كذلك الأمر وسيلة تعليم لكل ما هو في المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف.

خامساً: في الشتائم والمنازعات:

لا غرو أن يقع الإنسان كثيراً في سقط القول من المحظور في المنازعات والمشاكل، فكل طرف يحاول أن يؤذي الآخر عند وقوع الخطب ضرباً وقولاً، ففي القول يحاول أن يسب خصمه ويشتمه بأقذع الأوصاف والألفاظ تمتد في كثير من الأحيان إلى الأم والأخت والزوجة والابنة والعائلة والعشيرة، وللأسف تصل إلى الدين والتجرؤ عليه، ولعل مردّ هذا الأمر يعود إلى الانفعال المفرط الذي يقع فيه المتكلم؛ جراء الوتيرة العالية من الغضب، وتقع المشاكل بين الناس في كل المجتمعات، فيعمد المتكلم إلى اللعن بقوله: يلعن كذا وكذا، أو بوصف نده: يا ابن كذا وكذا، أو أنت يا ابن العشيرة الفلانية الساقطة، وأكثر الشتائم تقع في شتم الأب بالذات بقول المتخاصمين لبعضهما: يلعن أبوك، وهذا ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"[٦٠]، وعند انتهاء المشاجرة بين الطرفين يستذكر كل منهما ما قاله ويقع في حرج كبير من تصرفه وجرأته على قول مثل هذه الألفاظ لحظة الانفعال، ومما يقوله الناس في شجارهم ذِكرُهم جزءاً من الشتيمة لأنها من المحظور اللغوي في المجتمع، كقولهم: يا ابن ال....، ويا صانع ال....، فلا يصرح بما يريد شتمه، وننظر بعين الأسف كثيراً إلى المزاح الزائد بين كثير من الشباب بالتساهل في شتم الأعراض بل والتفنن في هذا. ومن باب السلوكيات التي يقع فيها الحظر اللغوي في المجتمع الأردني كلمة كذاب التي لا تقال صراحة فيمن يكذب في كلامه، فيلجأ المتكلمون باستخدام كلمة تعارف عليها المجتمع مثل: فلان مسيلمة، دلالة على مسيلمة الكذاب المعروف، وفلان بقص قصّ، وفلان قطّاعة، والعرب قديماً استخدمت كلمة مسيلمة؛ دلالة على الشخص الكذاب.

سادساً: في المعتقدات:

وهذا الجانب واسع في حياة الناس كالتفاؤل والتشاؤم والقرف والحرج وغير ذلك، ففي المجتمع الأردني يتحسس الناس كثيراً من نظرة الحاسد، فكثير من الناس ما يعوِّلون ما يقع معهم من مشاكل كحادث السيارة أو الرسوب في الدراسة إلى باب الحسد، فالمرأة مثلاً عند دخول أبنائها عليها أمام جاراتها

تلجأ إلى طرد الحسد في معتقدها بذكر أن فلاناً من أبنائها مريض، وفلان عليه دينٌ، وفلان كذا وكذا، ومنه أن المتكلم مثلاً لا يُصرح بإعجابه عندما يرى طفلاً يحمله والده بقوله: ما أجمله، بل يقول: بسم الله ما شاء الله، فيذكر الله قبل التعبير عن جماله؛ لأن والده سيرد عليه: اذكر الله، ففي معتقدنا الديني لا بد من ذلك، وهذا يقع في تعبير الشخص عن إعجابه بأي شيء كالبيت والنجاح والتميز وفي أعجبه بالسيارة كذلك، ونجد كثيراً من أصحاب السيارات ما يلجأون إلى كتابة بعض العبارات على مركباتهما طرداً للحسد، أو تعليق شيء عليها كالحذاء. ولجأ العرب القدماء درءاً للحسد إلى عادة كانت عندهم وهي ما يطلق عليه بالتفقئة والتعمية فقد فكان " الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل، وهي التفقئة، فإن زادت عن ذلك فقأ العين الأخرى وهي التعمية، ويزعمون أن ذلك يدفع العين عن الإبل "[٦١].

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج تمثلت فيما يأتي:

أولاً: ترفع العربي عن التصريح بذكر ألفاظ كثيرة تنافت مع طبعه ومعتقداته الدينية والثقافية وأعرافه الاجتماعية، ولجأ إلى التعبير عن المحظور بطرق كثيرة منها:

ذكر الضد للفظ المحظور فيفهم المستمع مراد القول.

التعبير عن المحظور من خلال ذكر صفة من صفات المحظور دون التصريح به.

التعبير عن المحظور من خلال اللفظ البديل دون التصريح به .

التعبير عن المحظور من خلال الإشارة دون اللفظ فيفهم الرائي المعنى بدون اللفظ.

ثانياً: وقع المحظور اللغوي في المجتمع الأردني كثيراً وبخاصة فما يتعلق بالنساء كونه مجتمعاً عشائرياً محافظاً، تبوأت فيه متعلقات المرأة درجة عالية من الخصوصية وصلت إلى أن ذكر اسم المرأة يعد من المحظور في كثير من المواضع.

ثالثاً: وجدنا قبولاً لبعض المفردات في بيئة من المجتمع الأردني، وفي بيئت أخرى من المجتمع نفسة وجدناها من المحظور اللغوي.

رابعاً: لجأ المتكلم إلى اللفظ البديل بدلاً من التصريح باللفظ المحظور في المجتمع الأردني كالرشوة والربا وغير ذلك.

واللهَ نسأل السدادَ في القول والعمل.

التوثيق

١ - سورة النساء: ٤٣

٢ - سورة النساء: ٢١

٣ - انظر البحتري، ديوان البحتري:٢٠٨/١

٤ - ابن منظور، لسان العرب: حظر

٥ – نهر، هادي المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة،:١

٦ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة: ٢٦٥

٧ – الملخ، المحظورات اللغوية، منازل الرؤيا ومسالك التطبيق:٣٧

٨ – البغدادي، خزانة الأدب:١٢١/٤

٩ - ابن دريد انظر كتاب الملاحن: ٢٦

١٠ - ستيفن أولمن، دور الكلمة: ٤٥

١١ – الجاحظ، رسائل الجاحظ: ١٠٦/٣

١٢ - وافي، اللغة والمجتمع: ١٧

١٣ - نهر، المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة:٣

١٤ - سورة ق:١٨

١٥ – البيهقي، السنن الكبرى:مسألة٢٠١٨٦، ومسند الإمام أحمد، ج١ مسألة ٣٨٢٩

١٦ – نهر، المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة:٣

١٧ -Raymond Hickey , Language and Society , p2 وانظر علاقة اللغة بالمجتمع، صبرينة مزياني: ٣

١٨ – بلقاسم مام، الكنـايـة هروب من اللغة: ٨٦

١٩ – زكي، المحظورات اللغوية: ٢٨

٢٠ – الشنقيطي، شرح المعلقات، الأبيات لزهير بن أبي سلمى: ١١٧

٢١ – الجاحظ، الحيوان: ٤٣١/٣

٢٢ – المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار: ١٠٤-١٠٥

٢٣ - انظر السابق: ٨١

٢٤ – زلال، التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القران الكريم:٦٦-٦٧

٢٥ – بلقاسم حمام، الكناية هروب من اللغة: ٧٩ مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد الخامس، ٢٠٠٦م.

٢٦ - سورة سبأ:٢٤

٢٧ – زلال، التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القران الكريم:٦

٢٨ – ابن منظور، لسان العرب: كني

٢٩ – الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٤

٣٠ - سورة النساء: ٤٣

٣١ معمر بن المثنى، مجاز القرآن: ٨٢١/١

٣٢ - الجرجاني، الأدباء وإشارات البلغاء:٣٨

٣٣ – الثعالبي، الكناية والتعريض: ١٣٩

٣٤ - المرجع السابق: ٤١

٣٥ - ابن جني، الخصائص: ٧١/١

٣٦ - ابن عبد البر، بهجة الجالس وأنس المجالس: ١٢١/٢

٣٧ – البخاري، انظر الأدب المفرد: ٣٤٢

٣٨ – الثعالبي، الكناية والتعريض: ١٤٥

٣٩ - ابن منظور، اللسان: حقب

٤٠ - انظر ابن منظور، لسان العرب: قرأ، خزانة البغدادي: ٤٥٣/١

٤١ – الثعالبي، الكناية والتعريض: ٢٩-٣٠

٤٢ - السابق: ١٠٣

٤٣ - أبو علي القالي، الأمالي: ٩١/١

٤٤ – العمري، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء: ١١٢

٤٥ – ابن جني، الخصائص: ٧٥/١-٧٦

٤٦ – الثعالبي، الكناية والتعريض: ٩٩

٤٧ – السابق: ١٣٣

٤٨ – السابق: ١٣٣

٤٩ - السابق: ٧

٥٠ - السابق: ٤٩

٥١ – العمري، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء:١٣٣

٥٢ - سورة البقرة: ١٨٧

٥٣ – أبو زلال، التعبير عن المحظور اللغوي في القران:١٠٧

٥٤ - سورة البقرة: ٢٢٢

٥٥ - المرجع السابق:١٠٧-١٠٨

٥٦ – إبراهيم محمود، الشبق المحرم، أنطولوجيا النصوص الممنوعة: ٢٣٩

٥٧ -الثعالبي، فقه اللغة:١١٤

٥٧ – الثعالبي، الكناية والتعريض: ١٠٣-١٠٤

٥٨ – هدسون، علم اللغة الاجتماعي:١٦٠

٥٩ - البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم ٦٥٢٨

٦٠- القلقشندي، صبح الأعشى: ٤٠٣٦٠/١

المصادر والمراجع

١- أبو زلال، عصام الدين عبد السلام (٢٠٠١) التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القران الكريم دراسة دلالية، ط، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة.

٢- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر : الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، منشورات مصطفى البابي ، القاهرة.

٣- ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٥٢): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة.

٤- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (د.ت) دلائل الإعجاز، تعليق محمود شاكر، القاهرة.

٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٠٠٠): رسائل الجاحظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- العمري، ياسين بن خير الله بن محمود (د.ت): الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق حسام رياض، مؤسسة الكتب الثقافية.

٧- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (٢٠٠٣): السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- الريس، إبراهيم محمود (٢٠٠٢): الشبق المحرم، أنط ولوجيا النصوص الممنوعة: إبراهيم محمود، الريس للنشر، ط١.

٩- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (١٩٩٧) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠- القلقشندي، أبو العباس أحمد(١٩٢٢): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١١- البخاري، محمد بن إسماعيل(١٩٩٣): صحيح البخاري، دار ابن كثير، ضبطه مصطفى ذيب، دمشق.

١٢- المزياني، صبرينة (د.ت) علاقة اللغة بالمجتمع – وإشكالية التواصل اللغوي في المجتمع ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، موقع إلكتروني.

١٣- عمر، أحمد مختار (١٩٩٨) علم الدلالة ، عالم الكتب، ط٥، القاهرة.

١٤- هدسون (١٩٩٠): علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، ط٢، عالم الكتب.

١٥- الثعالبي، أبو منصور (د.ت) فقه اللغة وأسرار العربية ، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٦- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (١٩٩٢): كتاب الملاحن: تحقيق عبد الإله، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

١٧- المقدسي، عز الدين بن عبد السلام (د.ت) كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، دار الفضيلة.

١٨- الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد (٢٠٠٣): كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، تحقيق محمود شاكر القطان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

١٩- بلقاسم حمام (٢٠٠٦): الكناية هروب من اللغة، مجلة الأدب واللغات، جامعة قاصدي، الجزائر، العدد :٥.

٢٠- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (١٩٩٨): الكناية والتعريض، تحقيق عائشة فريد، دار قباء.

٢١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٦٠): لسان العرب: ط١، بيروت: دار صادر.

٢٢- وافي، علي عبد الواحد(١٩٨٣): اللغة والمجتمع، دار عكاظ، ط٤.

٢٣- معمر بن المثنى (١٩٦٦): مجاز القرآن ، تحقيق محمد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٤- كريم زكي حسام الدين (١٩٨٥): المحظورات اللغوية، دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١.

٢٥- الملخ حسن وسهى نعجة(د.ت) المحظورات اللغوية، منازل الرؤيا ومسالك التطبيق، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد.

٢٦- نهر، هادي (د.ت) المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة، بحث غير منشور.